

## العيد

جورج شاهين

أي عبر يستخلصها من الإستقلال معاصروه؟  
دولة مدنية في دستورها وقوانينها  
وديموقراطيتها وحرّياتها

احتفل لبنان هذا العام بالعيد الماسي للاستقلال بعد مضي 75 عاما على اعلانه، ما شكل مناسبة لاجراء قراءة لهذه المحطة التاريخية، وما يمكن استخلاصه من عبر ودروس، وصولا الى ما اعاقه لكي يكون ناجزا

لا بد من التوقف عند هذه المحطة من تاريخ لبنان الحديث، لالقاء الضوء على تلك المرحلة وما رافقها من تحركات وطنية اعقبت سجن رجالات الاستقلال في قلعة راشيا، وكيف تطورت مواقف اللبنانيين الى ان افرج عنهم بعد المطالبة بالحرية والاستقلال.

الى ان افرج عنهم بعد المطالبة بالحرية والاستقلال. "الامن العام" التقت اثنين ممن عايشوا تلك المرحلة من موقعين مختلفين، جوزف ابوخليل وكريم مروة. الاول نائب رئيس

حزب الكتائب الذي كان شاهدا على حراك جمع شباب الكتائب والنجادة، معتبرا ان الاستقلال تحقق عندما تخلى المسلمون عن عمقهم العربي والمسيحيون عن الانتداب الفرنسي، والثاني مسؤول سابق في الحزب الشيوعي اللبناني شارك في السعي الى نيل الاستقلال من مقاعد الدراسة وعبر عن نغمته من تغلغل الطائفية بين اللبنانيين.

ابوخليل: لا تشكك  
في وحدة لبنان

■ ما هي العبر التي تستقيها من العيد الماسي للاستقلال، وهل لا تزال هناك محطات يمكن الاستفادة منها في ظل الانقسام الحاصل بين اللبنانيين؟

□ الحديث عن الاستقلال يتجاوز معانيه التقليدية. الاستقلال شكل اكبر تحد امام مسيحيي لبنان للتخلي عن الانتداب الفرنسي، ولكي يقولوا لفرنسا شكرا انتهى عهد الانتداب. بينما كان المسلمون يريدون الانضمام الى سوريا وفق ما قالت مقررات مؤتمر الساحل عام 1936. لذلك، كان اهم ما تحقق في تلك الحقبة ان ولدت الكتائب بالتزامن مع الاستقلال. الغاية من تأسيسها كان السعي الى تحقيق هذا الاستقلال والدفاع عنه، علما انه لم تكن هناك ارادة مسيحية واحدة وجامعة. بعض المسيحيين كانوا يتحفظون عن مثل هذه الخطوة، لذا فان اهمية ما حصل في العام 1943، انه شكل بداية لرهان شرحه جورج نقاش يومها في جريدة "لوريان لوجور"، فقال ما ترجمته: "كان علينا كمسيحيين ومن اجل ان نبقي ان نخاطر بوجودنا، واذا لم نقبل بهذه المخاطرة سنكون في خطر".

■ هل تعتقد اننا دفعنا الثمن الكافي من اجل ان نستحق الاستقلال؟

□ كان يجب ان نستحقه ونحميه بالممارسة. مسؤولية ذلك تقع على عاتقنا نحن اللبنانيين. ان استحقاقا من هذا النوع له مقوماته وشروطه، وهو يستلزم قبل كل شيء وحدة اللبنانيين. كان هناك من يريد لبنان كما هو واخرون لا يريدونه. وان كان هذا الامر دونه مصاعب، علينا الاقتناع بانه ليس هناك شعب يولد واحدا بل انه يبني وحدته ويعززها بالممارسة ايضا. بناء الوحدة اللبنانية كانت مهمة صعبة وكان علينا السعي ما استطعنا لئلا يبقى هناك من يفضل عليها اي دولة او نظاما آخر. في



نائب رئيس حزب الكتائب جوزف ابوخليل.

■ اذا ما هي مقومات الاستقلال وهل هي متوافرة لدينا، وما الذي اعاقها ان فقدت؟

□ الاستقلال يعني دولة قائمة على الحريات، دولة مدنية في دستورها وقوانينها وتشريعاتها لا تأخذ شيئا من دين من الاديان، فنحن من اديان متعددة. لبنان يكون او لا يكون بلد حريات لكل الناس. هل يمكن ان نكون اسرائيل ثانية ننشق عن محيطنا. العيش المشترك ثقافة تقوم على التلاقي بين المسلمين والمسيحيين لبناء دولة علمانية في وقت تحوط بنا الدول الدينية. كان المطلوب من الاستقلال تطين المسيحيين للمضي في هذا الرهان. فتطوعت الكتائب على قاعدة الميثاق الوطني الذي عبر عنه رياض الصلح بقوله "علينا ان نطمئن المسيحيين لرفع الاستعمار". نزلنا الى الشارع واصطدمنا بقوى الانتداب. كانت فرنسا خارجة من الحرب، منكسرة رافضة التخلي عن ادارة لبنان. لذلك لم يكن الامر سهلا الى ان ارتكب المفوض السامي الفرنسي الخطأ بوضع رجال الدولة في السجن، وهو ما استفز اللبنانيين بجناحهم المسلم

”  
لا لشعب يولد  
واحدا بل يبني وحدته  
بالممارسة

لقاء عقدناه على هامش وجودنا في مؤتمر لوزان وجنيف برئيس الاتحاد السويسري البلد الذي يجمع 18 طائفة، قال لنا يومها "كان كل كانتون يستقوي بدولة. منهم من استقوى بالابيطالي وآخر بالفرنسي وثالث بالالماني الى ان اكتشفوا ان الاستقواء بالخارج فالصو لا يخدم احدا". هكذا بنوا دولتهم ووحدتهم وصولا الى ما يسمونه وعن اقتناع العيش المشترك. هذا العيش ليس مشورا سهلا، وقد قطعنا شوطا مهما من اجله، واعتقد اليوم انه ليس هناك من اللبنانيين من يشكك في وحدة لبنان.





المسؤول السابق في الحزب الشيوعي اللبناني كريم مروة.

□ المؤسف في ضوء ما شهدناه طيلة تلك الحقبة اننا كلبانيين، مكوناتنا المختلفة، لم نتعلم من تجاربنا ولا من تجارب الاخرين. دخلنا في اكثر من حرب اهلية، كانت اثنتان منها مسلحتين وواحدة هي القائمة من دون سلاح. اعني اننا في الانقسامات والصراعات الطائفية والتدخلات الخارجية ما زلنا نمارس ما هو نقيض لطموحاتنا. اذ انني كنت وما زلت اعتبر ان لبنان لا يمكن ان يستمر في صراع بين مكوناته. كل مكون منها يعتبر انه هو الاصل في تكوينه بدلا من ان تكون كل هذه المكونات هي الاصل والاساس. اي ادعاء من اي مكون من مكونات لبنان بانه هو الذي يقرر مستقبل لبنان بالنيابة عن البقية مخطيء، وسوف يدفع هو ويدفع اللبنانيون جميعا ثمن هذا الادعاء.

■ ما الذي يعيق قيام دولة علما ان لبنان لم يعد بلدا محتلا، فلماذا لم نتلمس بعد وجود مقومات دولة؟

□ صحيح ان لبنان لم يعد محتلا كما كان من قبل من هذه الجهة او تلك، لكنني ارى في الاحتلال صيغة لا تتصل بالضرورة بوجود قوة خارجية على ارضه. هناك انواع مختلفة من الاحتلالات واحد اوجهها هو ان

المكونات اللبنانية المتعددة لا تزال ترتبط كل منها بنسب وبصيغ وعلى مستويات مختلفة بجهة ما في تحديد سياساتها، وهو الامر الذي ما زال يجعل لبنان عاصيا على الدخول في ما

يرغب فيه ابناؤه مبدئيا. هم يريدونه وطنا حقيقيا كسائر الاوطان، وان يستعيد جزءا مما اتصف به تاريخه في القرنين التاسع عشر والعشرين وفي فترتي الانتداب والاستقلال من تأكيد على طابعه الوطن المتميز عن اشقائه بصيغته الديمقراطية المقرونة بالحرية. صيغة كان يتم فيها التداول في السلطة حتى في فترة الانتداب والحرب الاهلية. اقول ذلك رغم انني كنت وما زلت اتمنى ان تتحرر هذه الديمقراطية من الالتباسات التي شوهتها. المحاصصة الطائفية في لبنان بهذا المعنى برغم ما اشرت اليه من عناصر الخلل يتميز بكونه نظاما ديمقراطيا. لكن ما يحصل يجعلني اخاف حتى على هذه

□ حاولنا المستحيل من اجل حماية الدولة. يروي وزير الخارجية فؤاد بطرس في كتابه انه وعند التفاهم على اتفاق القاهرة وتنازل الدولة عن جزء من سيادتها وارضاها للسلاح الفلسطيني، استدعاه الرئيس شارل حلو ليسأله عن رأيه فقال له: "لدينا مهلة خمس سنوات وتنفجر الحرب". وهذا ما حصل لاحقا. الدليل على ذلك، عندما هاجمت اسرائيل المطار عام 1968 طلب الرئيس حلو من وزير خارجيته فؤاد بطرس التوجه الى الامم المتحدة. ذهب والقي خطابا اقنع العالم، ودان مجلس الامن الاعتداء الاسرائيلي بالاجماع. لكن رئيس الحكومة انذاك عبدالله اليافي اعلن في بيروت موقفا مغايرا، الى درجة دفع بطرس الى القول للرئيس حلو: "انا ادافع عن موقف لبنان ورئيس حكومتنا يتبنى العمل الفدائي ويطلق يده في لبنان". هكذا بقي المسلحون الفلسطينيون يستخدمون البلد الى ان سقطت الدولة مرة اخرى، واصطدم سلاح الدولة بمقولة "الجيش والشعب والمقاومة" مرة جديدة فحلت المقاومة محل الدولة.

■ يصح القول اليوم ان لبنان لم يعد بلدا محتلا. فلماذا لم تكتمل مقومات وجود الدولة وما الذي يعيق قيامها؟ □ الدولة بمقوماتها السيادية هي الارض والشعب والمؤسسات. ومن الواجب ان تكون ارضا ومؤسسات موحدة وشعبا واحدا. في ظل الانتداب لا تقوم دولة منقوصة ومنتهكة السيادة. لم تكن ميمز قبل الحروب المتتالية بين الحكومة والدولة والنظام والسلطة. الدولة هي ارقى تنظيم في المجتمعات البشرية ولكي تكتمل يجب ان تكون سيدها نفسها. من العام 1943 تاريخ الاستقلال الى العام 1968 شهدنا فورة اقتصادية ومالية وثقافية وصحافية مهمة. شاركنا في تأسيس الامم المتحدة والجامعة العربية وتحول لبنان البلد الحر والامن في هذا الشرق. لكن وبالاسف، دخل السلاح الفلسطيني على الخط في العام 1968، فاندلع نزاع بين دولة ودويلة وتغلب السلاح الغريب على سلاح الدولة.

■ انت تعترف بأن الظروف التي ولد فيها الاستقلال لم تكن كافية لقيامه؟ ما الذي هدهد الى حدود نعيه؟

## مروة: يقتضي استعادة صيغة الديمقراطية والحرية

من اللبنانيين لماذا نحن اليوم في ما نحن فيه؟ هل هكذا نحتفل بالعيد الماسي لاستقلالنا؟ اين هو هذا الاستقلال؟ اذ اشير الى الفاجعة في ما نحن فيه، اعلن من الان انني كمواطن لبناني ساظل وانا في هذا العمر المديد مناظلا من اجل ان يستعيد وطننا استقلاله الحقيقي خارج الصيغة الطائفية التي دمرته وخارج اي نوع من التدخلات الخارجية في شؤوننا. اعلن في الوقت عينه ان لبنان هو وطننا الخالد. الوطن الذي يتفرد بسمات متعددة اعطته لشخصيته ما اعتبره من حيث المبدأ الوطن الذي يعبر عنه تاريخه وموقعه كصلة وصل حضارية وثقافية بين الشرق والغرب،

والمسيحي، وكان التحدي ان يعبران معا عن رد فعل واحد وارادة واحدة فتخلى المسلمون عن عمقهم العربي والمسيحيين عن الانتداب الفرنسي. اتفقا على الخروج عن صك الانتداب من طرف واحد وهو الذي اشترط لانهاية مفاوضات لا تنتهي الى اي اتفاق الا بموافقة الطرفين. هنا ما زلت اذكر يوم زارنا الرئيس تقي الدين الصلح في بيت الكنائس عند الرابعة فجرا ومعه زهير عسيران ومحمد شقير، وابلغونا اعتقال الرئيس رياض الصلح ومعه عدد من الوزراء والنواب. عقدنا اجتماعا فوريا انتهى بالدعوة الى الاضراب العام والشامل. تجلت وحدة اللبنانيين بالاتحاد بين قيادتي منظمي الكنائس والنجادة والاتفاق على قيادة مشتركة برئاسة الشيخ بيار الجميل، فنزل شباب النجادة الى الشارع بلباسهم الرسمي واعلامهم، ونظمت التظاهرات المشتركة. في تلك اللحظة، تلاقت الارادة الدولية مع ما اراده اللبنانيون، واضطرت السلطات الفرنسية الى الافراج عن المعتقلين وبدء مفاوضات انتهت بانسحاب كل الجيوش الغربية من فرنسين وانكليز واوستراليين وسنغاليين في العام 1946.

الاساس يبقى هم اللبنانيون لانهم اصحاب المصلحة بأن يعود لبنان كما ارادوه وطنا للحرية والديموقراطية صلة الوصل بين الشرق والغرب. فالمهمة الاساسية من وجهة نظري هي في ان يرتقي اللبنانيون الى المستوى الذي يجعلهم مؤهلين لاعادة وطنهم الى المكان الذي يليق به.

■ يعتقد كثر انه ليس هناك دولة مستقلة في العالم، فالعلاقات الدولية وضعت حدودا لمثل هذه العناوين. ما الذي يحتاج اليه لبنان ليؤكد استقلاله وبشبهته؟

□ معنى الاستقلال يختلف عندما تبدأ الحديث عن صيغته العملية والمبدئية. نعم لا يوجد في العالم استقلال كامل في اي بلد. حتى ان الدول العظمى اخذت في الاعتبار ما وصل اليه العالم بفعل التطورات التي جعلته قرية كونية. لكن العلاقة التي تربط اي بلد بالبلدان الاخرى والعالم وتحولاته ينبغي ان تبدأ من حقيقة لا خلاف حولها، وهي استقلاله اي حفاظه على كيانه وعلى كل ما يتصل بتطوره. وانطلاقا من هذه الاستقلالية يقيم علاقات بكل جهات الارض. الاستقلال هو مبدأ اولي للعلاقات مع الاخرين والا يصبح البلد تابعا بدلا من ان يمارس علاقاته انطلاقا من استقلاله.

الديموقراطية في ظل ما نعاني منه من اصرار عند بعض القوى التي تسعى الى تشويه تلك الديمقراطية.

■ ارتبط مفهوم الاستقلال بقدرة اهل البلد على ادارة شؤونهم بانفسهم. كيف تفسر ما نشهده من تعثر في اداء الدولة؟

□ في جوابي عن هذه السؤال اجد نفسي موجها الاتهام الى القوى السياسية على اختلافها بفوارق بسيطة بين فريق وآخر من حيث المسؤولية اولا. لكن ما هو اهم، ان المسؤولية الاساسية تعود الى اللبنانيين الذين عانوا وما زالوا يعانون على امتداد العقود الماضية مما وصل اليه موطنهم الحقيقي من درك، ويعيدون في كل مرة، على الرغم من ذلك، انتخاب من يعتبرونه في السر والعلن المسؤول عما آل اليه بلدهم. اقول ان المسؤولية يتحملها الفريقان، لكن الفريق



**اتساءل مثل كثيرين لماذا نحن اليوم في ما نحن فيه؟**

